Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Journal of Arabic Language & Literature, Vol. 15, No.1 Serial Number.32

The labyrinth is a textual study in discourse analysis

Doi:10.22067/jallv15.i1.2308-1304

Abdel-Baqi Badr Al-Khazraji[1]
Professor in Arabic Language and Literature, Al-Mustansiriya University, Baghdad, Iraq

Received: 4 February 2023 ▌Received in revised form: 9 April 2023 ▌Accepted: 7 June 2023

Abstract

I have learned from life that creativity is a narrative in which all creators who engage with the text participate. The text serves as a realm in which the creator explores beauty, taste, and textual elegance. Building upon this idea, I have developed ideas for discourse analysis at the postgraduate level, centered around the concept of "the labyrinth. "My aim is to immerse students in a constant state of exploration, guiding them from one area of research to another whenever they uncover a truth. I have been successful in teaching researchers during this crucial stage of their scientific journey, helping them draw conclusions from their premises and navigate through complex texts when they feel lost. My focus has been on stimulating their minds and encouraging them to explore various fields of knowledge, fostering creativity and innovation to produce solid and distinctive scientific outcomes. I will attempt to establish a foundation for understanding the labyrinth concept and discourse within texts as keys to knowledge in research. Subsequently, I will document the ideas and texts that have been analyzed using the textual labyrinth method.The scientific and cognitive objective of this research is to define the concept of text. It aims to equip postgraduate students with the ability to differentiate between texts, comprehend their meanings, identify the parties involved in communication within them, and recognize any disruptions or deviations in the communication process between texts and recipients. The ultimate goal is to teach students communicative standards because without these standards, a text loses its communicative power.

Keywords: labyrinth, text, discourse analysis.

[1]. Corresponding author Email: dr.abdulbaqi@uomustansiriyah.edu.iq

اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383

اللّغة العربية وآدابها، السنة الخامسة عشرة، العدد ١ (الرقم المسلسل ٣٢)، ربيع ١٤٤٤، صص:٨٩-٧٣

المتاهة دراسة نصيّة في تحليل الخطاب

(المقالة المحكمة)

عبد الباقي بدر الخزرجي (أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مستنصرية، بغداد، العراق، الكاتب المسؤول)[١]

Doi:10.22067/jallv15.i1.2308-1304

الملخص

تعلّمتُ من الحياةِ أنَّ الإبداعَ مسافةُ حكايةٍ اشتركَ فيها كلُ المبدعينَ الذين كانوا على موعدٍ مع النص بوصفهِ فضاءً يُحلقُ فيه المبدع بحثاً عن الجمال والذوق والأناقة النصيّة؛ ومن أعماق هذه الفكرة نبضت لديَّ أفكار لتحليل الخطاب في مرحلة الدراسات العليا تقومُ على فكرة (المتاهة)، وأزعم أنّها فكرةٌ جديدة في الدراسات النصيّة لتحليل الخطاب حاولت تطبيقها من خلال تحليل مجموعة من النصوص لطلبة الدكتوراه والماجستير على حد سواء، وفي الواقع لاقت أصداءً طيبة ومقبولة لديهم حتى طلب مني البعض منهم بجمع هذه النصوص وطباعتها في بحث علمي. أعمل على جعل الطالب في منطقة التيه الدائم وكلما يصل إلى حقيقة أدفع به إلى منطقة بحث أخرى حتى أجعله يشعر بأنّه في منطقة متاهات علمية لا يخرجُ من متاهة حتى يجدُ نفسه في متاهة أخرى، ومن هنا نجحت إلى حد كبير في تعليم الباحث في هذه المرحلة البحثية المهمة من حياته العلمية كيف يفكر؟ وكيف يربط بين المختلف؟ وكيف يخرج من المتاهة؟ ومن ثم يستنبط النتائج من مقدماتها وعندما يشعرُ أنّه ضائعٌ في النص كيف يتصرف؟ فضلا عن المفاتيح المهمة لتفكيك الخطاب في النص، وركزتُ على تمرين ذهنه وجعله يتحركُ في مناطق معرفية متنوعة حتى يتمكن من الإبداع والابتكار ويخرج بنتائج علمية رصينة ومميزة. وسوف أحاول أن أقدم تأسيسا لمفهوم المتاهة ومفهوم الخطاب والنص بوصفها مفاتيح معرفية للبحث، ولو بنحو موجز بوصفها مدخلاً لعتبة العنوان في البحث ومن ثم أسجّل الأفكار والنصوص التي تمت معالجتها وعلى وفق طريقة المتاهة النصيّة، والغاية العلمية والمعرفية من البحث هي التعريف بمفهوم النص، وكيف يستطيع طالب الدراسات العليا أن يميز بين النصوص ويفهم كنهها وأطراف الاتصال فيها ومن ثم الاعتراف بها، فضلا عن ضرورة فهم الطلبة والباحثين أسباب تعطل عملية التواصل أو انحرافها بين النصوص والمتلقين، والهدف من هذا البحث تعليم الطلبة معايير التواصل للنصوص لأنّه في حالة فقدان هذه المعايير لا يصبح النص تواصليا، عسى أن ينتفع بها طلبة الدراسات العليا في كل الجامعات وأسأل الله العلي القدير أن يجعل لي الأجر والثواب لأنّ القصد في ذلك خدمة البحث العلمي.

الكلمات الدليلية: المتاهة، النص، تحليل الخطاب.

تاريخ الوصول: ١٤٠١/١١/١٥ تاريخ المراجعة: ١٤٠٢/١/٢٠ تاريخ القبول: ١٤٠٢/٣/١٧

[١]. الكاتب المسؤول: dr.abdulbaqi@uomustansiriyah.edu.iq

١.المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين وبعد.

تعلّمتُ من الحياةِ أنَّ الإبداعَ مسافةُ حكايةٍ اشتركَ فيها كلُ المبدعينَ الذين كانوا على موعدٍ مع النص بوصفهِ فضاءً يُحلقُ فيه المبدع بحثاً عن الجمال والذوق والأناقة النصيّة؛ ومن أعماق هذه الفكرة نبضت لدي أفكار لتحليل الخطاب في مرحلة الدراسات العليا تقومُ على فكرة (المتاهة)، وأزعم أنّها فكرةٌ جديدة في الدراسات النصيّة لتحليل الخطاب حاولت تطبيقها من خلال تحليل مجموعة من النصوص لطلبة الدكتوراه والماجستير على حد سواء، وفي الواقع لاقت أصداءً طيبة ومقبولة لديهم حتى طلب مني البعض منهم بجمع هذه النصوص وطباعتها في بحث علمي نقدي يفيد الطلبة منهم.

ولكني لم آخذ الموضوع على محمل الجد حتى تبادر إلى ذهني بأنّ الإنسان في واقعه استراحة مسافر وسرعان ما يختفي ولا ينطق عنه خلا أثره وما يتركه من عمل يفيد من الآخرين، وفي ذلك يقول الشريف الرضي:

وكأنّ طولَ العُمْر رَوْحَةُ رَاكِب قَضّى اللُغُوبَ وَجَدَّ في الإسراءِ

(الرضي، ٢٠١٩: ٢٠٧).

توكلت على الله في الشروع في هذه الدراسة بعد أن قدحت الفكرة في ذهني وآثرت ما قدمته لطلبتي في الدراسات العليا في بحث أثرتُ أن تكون عتبة العنوان هي (المتاهة - دراسات نصيّة في تحليل الخطاب) وفي الواقع أنّ العنوان مأخوذ من فكرة طالما طبقتها في تقديمي للمحاضرات؛ ومن خلال النصوص التي نقوم بتحليلها ومحاولة مني لتحريك ذهنية الباحث ودفعها للتفكير المرن، أعمل على جعل الطالب في منطقة التيه الدائم وكلما يصل إلى حقيقة أدفع به إلى منطقة بحث أخرى حتى أجعله يشعر بأنّه في منطقة متاهات علمية لا يخرجُ من متاهة حتى يجدُ نفسه في متاهة أخرى، ومن هنا نجحت إلى حد كبير في تعليم الباحث في هذه المرحلة البحثية المهمة من حياته العلمية كيف يفكر؟ وكيف يربط بين المختلف؟ وكيف يخرج من المتاهة؟ ومن ثم يستنبط النتائج من مقدماتها وعندما يشعرُ أنّه ضائعٌ في النص كيف يتصرف؟ فضلا عن المفاتيح المهمة لتفكيك الخطاب في النص، وركزتُ على تمرين ذهنه وجعله يتحركُ في مناطق معرفية متنوعة حتى يتمكن من الإبداع والابتكار ويخرج بنتائج علمية رصينة ومميزة. وسوف أحاول أن أقدم تأسيسا لمفهوم المتاهة ومفهوم الخطاب والنص بوصفها مفاتيح معرفية للبحث، ولو بنحو موجز بوصفها مدخلاً لعتبة العنوان في البحث ومن ثم أسجّل الأفكار والنصوص التي تمت معالجتها وعلى وفق طريقة المتاهة النصيّة، عسى أن ينتفع بها طلبة الدراسات العليا في كل الجامعات وأسأل الله العلي القدير أن يجعل لي الأجر والثواب لأنّ اللقاء الأول في ذلك هو وجهه الكريم والسلام مسك الختام.

١.١.أسئلة البحث

يعالج البحث التساؤلات الآتية:

١.كيف نفهم النص بنحو عام سواء أكان نصّا أدبيا أم نصّا علميا؟

٢.كيف يتعلم الباحث أو طالب الدراسات العليا البحث داخل المتاهات العلمية والمعرفية؟

٣.كيف يتعلم الباحث التفكير وطريقة استنباط النتائج من خلال دراسة وتحليل المقدمات؟

٤.كيف يميز الباحث بين النصوص وفهم كنهها وأطراف التواصل فيها؟

٥.كيف يتعلّم الطلبة والباحثون معايير التواصل في النصوص وكيف يفهمون حدوث عملية تعطيل التواصل بفقدان المعايير؟

٦.كيف يخلق الباحث طرقا جديدة في تحليل الخطاب وكيف يقف على الأنساق المخفية والمقاصد المضمرة في النصوص؟

١ .٢.الدراسات السابقة

الدراسات السابقة تكاد تخلو تماما وتختلف عن هذه الدراسة البكر في فكرتها وطريقة معالجتها للنصوص من خلال فكرة جديدة مبتكرة جعلت من المتاهات طرقا للوصول إلى غايات ومقاصد الخطاب المتنوعة في مشاربها ومرجعياتها الثقافية والمعرفية والفكرية.

ومنها جاءت الدراسات السابقة بنمطية تحليل الخطاب واجتراره على وفق السياقات اللغوية والأسلوبية الواردة في البحوث العلمية في هذا التخصص المهم فكانت أغلبها تشتغل في تحليل الخطاب الشعري، فأحسب نفسي أني لا أجد دراسة سابقة مشابهة أو قريبة من دراستي الحالية (المتاهة دراسة نصّية في تحليل الخطاب) فأزعم بجدتها وابتكارها في مجال تخصصها على مستوى الفكرة والتحليل والتطبيق.

٢. الإطار النظري للبحث

٢ . ١. المفاهيم

المتاهة: هي محاولة جعل الباحث داخل النص في متاهة معرفية علمية كلما وصل إلى حقيقة وجد نفسه داخل في متاهة معرفية جديدة وهكذا يبقى الباحث داخل النص في عدد كبير من المتاهات دائما تشعره أنّه ما يزال بحاجة إلى البحث والتحليل.

النص: الدلالة اللغوية لمفهوم النص تشير إلى الحركة الممزوجة بالصوت والضوء والصعود إلى الأعلى وباتجاهات متنوعة، ويمثل النص البؤرة المركزية لجميع الدراسات النقدية، فضلا عن كونه خيوط الشمس الذهبية التي تمتد إلى أعماق المنتج لتربط جسور التواصل مع المتلقي وتسهم في نقل التجربة الشعرية التي حملها الخطاب من خلال رسالة إلى المتلقي ليحقق التأثير فيه ومشاركته تجربته الحياتية (الخزرجي، ٢٠١٦: ١٦).

تحليل الخطاب: إنّ مفهوم تحليل الخطاب يكون مرادفا لمفهوم تحليل النص في جميع المجالات المختلفة ومنها في موضوع قواعد علم النص، ومنطق الأفعال اللغوية وعلم الاجتماع وغيرها.

وفي بعض المصادر يوجد هناك فصل بين الخطاب ومصطلح النص بحيث يُفهم من الخطاب أنه الفعل البيني الشفوي الذي يكون فيه المتحدث والسامع موجودين في الوقت نفسه (شتيفان، ٢٠١٣: ١٢١).

٢ . ٢. المفهوم اللغوي

المتاهة:

الخليل: التَّيْهُ والتَّوْهُ، لغتان، يقال: تاهَ يتِيهُ تَيْهاً، وتاهَ يتُوه تَوْهاً، والتّيه أعمّ من التّوه.

وأرض تِيهٌ وتَيْهاء، وفلاة أتاويهُ، كأنّها جماعة الجماعة.

وأرض مَتيهَة ومُتيهَة، كأنّها (مَفْعِلة): لا يُهْتَدى فيها.

ابن شُميّل: التَّيْهاء: المَضَلَّةُ الواسعة بين الأرضين التي لا أعلام فيها، ولا جبال ولا آكام.

ابن دُرَيْد: تاهَ يتيه تِيهاً من التّكبّر فهو تائه، وتَاه على وجهه يتيه تيهاً وتَيَهاناً.

وأرض تَيْهاء: لا يُهْتَدى لها، وكذلك أرضٌ تِيهٌ. وأحسبهم قد قالوا: بلدٌ أتْيه، وليس بالثبت وقد سمّت العرب: تَيهان.

تاهَ الرجل يتيه تِيهاً من التّكبّر، وهو رجل تَيّاه. وتاه في الأرض، إذا ذهب فيها وهو التّيه. ورجل تَيْهان إذا تاهَ في الأرض.

الأصول اللغوية:

١-الأصل في هذه المادّة: التّيه، وهو المفازة لا يُهْتَدى فيها، والجمع: أتْيَاهٌ، أتاوِيهُ، يقال: تاهَ الرجل في الأرض يَتيهُ تَيْهاً وتِيْهاً وتَيَهاناً، أي ضلّ وذهبَ متحيّراً، وهو تَيّهان. وفلاةٌ تَيْهاء: مَضَلَّةٌ واسعةٌ أي يَتيهُ فيها الإنسان.

ومنه أيضاً: تاهَ الرجل يَتيهُ تَيْهاً: تكبّر، فهو تائهٌ وتَيّاهٌ وتَيّهانٌ، وكأنَّ المتكبّر قد سلك التّيه، فضلّ وتحيّر يقال: هو أتيهُ الناس، وما أتيهَهُ، وقد تيّه نفسهُ: حيّرها وطوّحها، ورجلٌ تَيْهانٌ وتَيّهانٌ: جسورٌ يركب رأسه في الأمور، وناقةٌ تَيْهانةٌ: جريئةٌ.

٢-ويطلق على التيه في اللغة العبرية لفظ (تُهُو) أي: المفازة.

٢. ٣. الاستعمال القرآني

جاء من هذه المادّة لفظ واحد، مرّة واحدة: وذلك في قوله تعالى: ﴿قالَ فإنّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أرْبَعِينَ سَنَةً يَتيهُونَ في الأرضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَومِ الفَاسِقِين﴾ (سورة المائدة: الآية ٢٦).

يلاحظ:

أ). أنّهم سألوا كيف يتيهون فيها، وهي مساحة محددة تتراوح في الآثار بين أربعة فراسخ وثلاثين فرسخا - أربعين سنة - ولا يجدون سبيلا للخروج؟ وأحسن ما أُجيب عنه: إنّهم كانوا يجدون السبيل، إلاّ أنّ الله حرّمه عليهم عقوبة لهم، حتى انقرض الذين تخلّفوا عن أمر الله. ثمّ سمح لأولادهم الخروج منها والدخول في الأرض الموعودة. وهذا الرّأي موقوف على حمل ((فإنّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ)) على التحريم التشريعي من دون التكويني.

ب). أنّ لفظ (يتيهون) منصرف إلى الحيرة والضّلال، وأنهم لم يجدوا سبيلا للخلاص منه، فالأحسن حملها على أنّه كان من جملة ما جاء في قضايا بني إسرائيل، من خوارق العادات.

ج). مجيء المادّة مرة واحدة بلفظ المضارع (يتيهون) يتناسق مفهومها الذي يُعبّر عن الغربة والحيرة، المستمرّتين زمانا مبهما لا يُعلم مداه بأربعين سنة في علم الله، لا يعرفها بنو إسرائيل، بل هم في حيرة مطلقة مكاناً وزماناً (الطباطبائي، ٢٠٠٤، ج٦/ ٣٠١-٣٠٠).

قبل الشروع في عملية جمع المحاضرات؛ أودُّ أن أوضح مسألة مهمة للقارئ الكريم بأنَّ البحث؛ سوف يكون بشكل عام للدراسين ولطلبة الدراسات العليا بنحو خاص، وكذلك أنوّه على أنّ تحليل النصوص جاء على وفق الدراسة النصيّة أي بمعنى أنّ الطالب يتكفل بالتعامل مع النص، وعلى وفق الرؤية الفنية التي تم تفكيك النص بموجبها.

ومن هنا يكون البحث عبارة عن نصوص تطبيقية متنوعة، ومتكاملة، وفيها رؤى جديدة لقراءة النصوص؛ ولكنها تهدف إلى تعليم طلبة الدراسات العليا طريقة التفكير المرن، وحرية الحركة في النص؛ فضلا عن طريقة الوصول إلى مفاتيح النص

وصولا إلى البؤرة وخطوط التفكيك الفني للنص اللغوي وعلاقتها بالفكرة، والأنساق الخفية المقصودة فضلا عن الأنساق الظاهرة غير المقصودة.

وبالطبع، سوف يكون مع مفردات المنهج نصوص تطبيقية، وبحسب الاختيار يتم تحليلها على وفق الطريقة التفاعلية وتبادل الأفكار والآراء.

وهنا ينفتح النص على رؤى متنوعة وكثيرة، تدفع عقلية الطالب إلى مناطق معرفية جديدة لم تكن في مستوى إدراكه ومعرفته مسبقا ويكون في أمس الحاجة إليها في مرحلة الكتابة حيث طالما يعاني الكثير من الباحثين في الدراسات العليا من صعوبة تحليل النص فيلجأ الكثير منهم إلى تسخير رسائل ودراسات سابقة والقيام بإسقاطها على دلالات النصوص لديهم مع وجود الفارق.

وسوف تكون طريقة البحث على أساس المحاضرات وموضوعاتها وعلى نحو موجز حيث أنّ التركيز سوف يكون على الدراسة التطبيقية للنصوص وتحليلها وعلى وفق ما ينفع طلبة الدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه.

ويجب على طالب الدراسات العليا أن يتعلم كيف يفكر ويستنبط؟ وكيف يربط بين أواصر المختلف؟ وكيف يبني جسورا من خلال جعل اللغة وسيلة للتأثير والإقناع؟ بمعنى (تكلم حتى أراك)، أو (أكتب حتى أراك). أي عندما نفهم الخطاب العام؛ فإننا نفهم النص، ويجب أن يكون التحليل على وفق معايير وأبعاد منهجية ونقصد (أبعادا دلالية، فلسفية، تأويلية، فكرية، نفسية، اجتماعية) وعلى وفق ما يتضمنه الخطاب من تحليل.

٣. تحليل مفهوم الفكرة في أي بحث معرفي

كلمة أو لفظة طالما نسمعها ونتداولها في أوساطنا العلمية والأكاديمية والبحثية ولو تساءلنا ما الفكرة؟ وكيف تتشكل؟ وما مقدمتها قبل التشكّل؟

وعندما نجيب عن ذلك نقول: تتشكل الفكرة أصلا بوجود مستفز ومثير في الطبيعة والبيئة التي نتفاعل معها وعندما نتسلم المثير يكون الطريق عبر منطقة الحواس وهي اللمس والشم والذوق والسمع والبصر، فيدخل المثير إلى منطقة العواطف والأحاسيس المرتبطة بالقلب وبعد ذلك نكون بمواجهة ثلاثة احتمالات وهي:

الاحتمال الأول: في حالة محبة الفكرة ورفعها إلى منطقة العقل فسوف تكون فكرة مبدعة ومبتكرة وجديدة، وأما الاحتمال الثاني: وهو الإعجاب بالفكرة ورفعها إلى منطقة العقل سوف ينتج عنها فكرة عادية مقبولة، وأما الاحتمال الثالث: وهو رفض الفكرة وعدم رفعها إلى منطقة العقل فهذا يعني موتها في لحظة دخولها وعدم الاهتمام بها. وعندما تستقر الفكرة في العقل تتشكّل صورة ذهنية لها بادئ الأمر ومن ثم يتم استدعاء اللغة بوصفها الحامل الأساس لنقل الأفكار من خلال الألفاظ والمعاني وهنا تأخذ اللغة دور الوسيط والناقل لهذه الأفكار من خلال إيصالها للمتلقي الذي بدوره تسلّمها من خلال مناطق الإحساس والمؤثرات الحسية ليعيد الدورة نفسها برفعها إلى العقل ليقوم بتفكيكها ومن ثم الاستجابة.

٤. مفهوم الخطاب

الخطاب: الخطاب يتوسل اللغة دائما في غاياته، وإذا رُفعت اللغة لا يوجد خطاب، ولأنّ مفهوم الخطاب يتعلق باللسانيات، والعلوم الأخرى مثل النفس، والاجتماع، والفلسفة، والنقد والسيماء وغير ذلك.

بمعنى أننا نعتمد الإشارة، إذا فقدنا الخطاب، وفقدنا الإشارة هل سنجد خطاباً؟

عند الإجابة عن هذه التساؤلات، نواجه الصمت في حالة سقوط فكرة التواصل من خلال الخطاب، والإشارة مع الآخر فهل الصمت خطابا؟

الخطاب=<<<<<منطوق + إشارة فشرط الخطاب هو أن يوجد طرفان.

حقيقة الخطاب في جوهره؛ ليس لغويا، بل هو مجموعة من النوايا.

وعندما نأتي لتفكيك هذا المفهوم (النوايا).

أ). النية: والنية في اللغة هي القصدُ والإرادة ومعنى هذا أنّ النية مرتبطة مرة بالعاطفة والقلب والإحساس، ومرة بالتوقّع أي الخيال الكاذب، وخضوعها للنسبية بمعنى يمكن أو لا يمكن.

ب). العقل: أي بمعنى: الفكر، والعمل، والسلوك، والتطبيق، ومضمون النية،

وهنا نطرح تساؤلا؛ هل التفكير المجرد في عمل النية يكون مساويا للعمل فيها أم لا؟

وبدءًا ننطلق من الحديث الشريف: (إنّما الأعمالُ بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى).

ونال هذا الحديث اهتماما عظيما من العلماء وذلك لاشتماله على قواعد عظيمة من قواعد الدين.

الغايات= الأهداف، التشكّل + المحتوى + التواصل + الأفكار+ المضامين.

التوسل= الطلب، والانتماء، والبطء والانتظار.

وهنا يجب على طالب الدراسات العليا أن يتعلم كيف يجمع المختلف، ويجعل منه متشابها، ويتم له ذلك من خلال تحليل وفهم الخطاب؛ وليس النص.

٥.الإطار التطبيقي للبحث

نحدد الهدف بدءًا من المحور التطبيقي هو الكشف عن المعايير الاجتماعية والتواصلية واللغوية الكامنة في النصوص حتى يتبين بعدها الدلالي ومقاصدها في خلق عملية إقناع ناجحة في المجتمع وتغيير اتجاهات التفكير بالنسبة للمتلقين على مختلف مشاربهم وثقافتهم وطبقاتهم الاجتماعية.

ولنأخذ أمثلة على نصوص مختلفة من الخطابات الآتية

٥ .١. النص الأول: يقول فوكو

وقبل تحليل خطابات فوكو نجد أنّه يفهم الخطاب بوصفه شبكة مصغرة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام بوصفه خطابا ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه (ميجان الرويلي، ٢٠٠٤: ٨٩).

ويفترض فوكو في كتابه نظام الخطاب أنّ إنتاج الخطاب في كل مجتمع يجب أن يكون مراقبا ومنتقى ومنظما ومعادا توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون لها الدور البارز في الحد من سلطاته ومخاطرة (المصدر نفسه: ٨٩).

وعند تحليل ما يقول فوكو عن الخطاب وعلى وفق طريقة المتاهة:

النص الأول:(الخطابُ ينقلُ السلطة وينتجها يقويها؛ ولكنه يلغمها ويفجرها؛ يجعلها هزيلة، ويسمحُ بإلغائها) (مقتبس من ميشيل فوكو: إرادة المعرفة).

قبل الدخول إلى تفكيك النص يقول شتيفان هابشايد: إنّ الخطاب يصور مجموعة من النصوص تتميز بالتقاطع وتتداخل نصوص الخطاب مع مجالات معرفية متعددة بعضها مع البعض الآخر (شتيفان، ٢٠١٣: ١٢٩). ومن خلال ذلك نبحث عند تفكيك أي نص خطابي عما يسمى بؤرة النص وهذا ما يحتاج الوصول إليه طالب الدراسات العليا عند تفكيك النص الخطابي لفوكو من خلال الوصول إلى البؤرة التي عند تفكيكها يتساقط النص الخطابي ويتناثر حتى يبدأ الطالب مرة أخرى عملية الجمع والتصميم الجديد للخطاب ممزوجا برؤيته.

أولاً: نبحث عن البؤرة (المرتكز)

ونتساءل هل هي كلمة (ينقل، أم ينتج، أم يقوي، أم يفجّر، أم يجعل، أم يسمح)؟

في البدء نبحث من خلال أسئلة وهي:

هل الخطاب ناقل أم منقول؟ وهل السلطة ناقلة أم منقولة؟ وهل يختفي أحدهما ويأتي الآخر؟ ومتى تكون السلطة ناقلة والخطاب منقولاً؟ وهل توجد سلطة من دون خطاب؟

ما النسق المضمر للسلطة؟

النسق المخفي للخطاب هو خطاب بالأصل، وكل خطاب سلطة يكون نسقه المضمر هو خطاب المعارضة، وخطاب المعارضة يكون دائما هدفه السلطة، وكل نسق ظاهر يستهدف نسقا مضمرا في أي خطاب بما يحمل من معنى؛ وهذا يعني عند اختفاء خطاب السلطة سوف يختفي معه خطاب المعارضة.

وندخل هنا في جدلية جديدة بين السلطة والخطاب، ما هي؟ وما نوع العلاقة بينهما؟ وهل العلاقة علاقة تفاعل أم تكامل؟

نخلص إنّ كل سلطة تمثل خطابا؛ وليس كل خطاب يمثل سلطة.

وهنا يمثل الخطاب أصلا والسلطة تمثل تابعا له، أي علاقة الكل بالجزء، أي لا وجود لسلطة من دون خطاب، ولكن ليس العكس صحيحا يوجد الخطاب حيث لا وجود للسلطة من دون خطاب ينتجها.

وعندما نتحدث عن إنتاج الخطاب فإننا نتحدثُ عن وعي المنتج أي مبدع الخطاب وتفكيك الخطاب ينتج من وعي المتلقي؛ إذن العمل يكون في منطقة أزمة بين وعيين المنتج يجمع المفكك والمتلقي يفكك المجموع، ويكون الباحث الحالة المأزومة بينهما. ولأنّ الخطاب يكون صورة ذهنية في صورته الأولى ولحظات تشكيله، ومن ثم يتحول إلى صورة لغوية؛ يأخذ بعدها شكلا وإطارا ومحتوى ومضمونا، ومن ثم يخرج لفظاً قبل أن يكون كتابة، لكي يأتي الباحث ويقوم بعملية استرجاع من الكتابة إلى اللفظ ومن ثم الدلالة وأخيرا الصورة الذهنية - عملية تفكيك- عملية قراءة للخطاب أي خطاب؛ وهنا نتطرق إلى أفكار مهمة يحتاج إليها الباحث في الدراسات العليا سواء أكان باحثا للماجستير أم الدكتوراه، وهذه الأفكار هي تتأسسُ على مجموعة تساؤلات يختبر الباحث معلوماته فيها هي:

ما مفهوم الاستنباط في النص؟

وكيف يمكن لنا أن نستدل على المقدمات في النص؟ ما مفهوم الاستقراء في النص؟ كيف نقرأ النص؟ ما الفرق بين القراءة والاستنتاج؟ كيف يمكن لنا تحقيق نتائج مقبولة تأسيسا على المقدمات الموجودة في النص؟ ما مفهوم الزمان وما مفهوم المكان؟ وما علاقة اللغة بالفكرة داخل النص؟

وغير ذلك من الأفكار التي تواجه الباحث في الدراسات العليا خلال تحليل النصوص بنحو عام أي نصوص قرآنية ونثرية وشعرية وغير ذلك.

وللبحث في الإجابة عن هذه التساؤلات ونبدأ بالتمهيد الآتي:

يقسم الاستدلال البشري على قسمين: أحدهما الاستنباط، والآخر الاستقراء ولكل من الدليل الاستنباطي والدليل الاستقرائي منهجه الخاص وطريقه المميز.

الأول: الاستنباط: كل استدلال لا تكبر نتيجته المقدمات التي تكوّن ذلك الاستدلال، ففي كل دليل استنباطي تجيء النتيجة دائما مساوية أو أصغر من مقدماتها.

ونأخذ مثالا على ما قدمنا من كلام؛ قولنا:

محمد إنسان، وكل إنسان يموت، إذن محمد يموت،

فكان الاستنتاج أنّ محمدا يموت بطريقة استنباطية، وهذه النتيجة أصغر من مقدماتها (محمد إنسان)، لأنّها تخص فردا من الإنسان وهو(محمد)، بينما المقدمة تقول: (كل إنسان يموت)، تشمل الأفراد جميعا وبذلك يتخذ التفكير هذا الاستدلال طريقه من العام إلى الخاص، فهو يسير من الكلي إلى الفرد ومن المبدأ العام إلى التطبيقات الخاصة، علما أنّ أرسطو يسمي هذه الطريقة بالقياس، ويعدّها الصورة النموذجية للدليل الاستنباطي.

ثانيا: الاستقراء: كل استقراء تجيء النتيجة فيه أكبر من المقدمات التي أسهمت في تكوّن ذلك الاستدلال.

ونأخذ مثالا على ما تقدّم قولنا:

(هذه القطعة من الحديد تتمدد بالحرارة، وتلك القطعة تتمدد بالحرارة، وهذه القطعة الثالثة تتمدد بالحرارة أيضا) إذن (كل حديد يتمدد بالحرارة).

وهذه النتيجة أكبر من المقدمات لأنّ المقدمات لم تتناول إلا كمية محدودة من قطع الحديد؛ ثلاثة أو أربعة أو ملايين٠٠٠ بينما النتيجة تناولت كل حديد وحكمت أنّه يتمدد بالحرارة، وبذلك شملت القطع التي لم تدخل في المقدمات ولم يجرِ عليها الفحص (الصدر، ٢٠١٢: ١٨-١٧).

٥ .٢. النص الثاني: (العشقُ في الموت، ومن يموت يحيا)

(النص صوفي مقتبس من رحاب أفكار الحلاج)

الفهمُ الجيد للنص يؤدي إلى تنفيذ جيد ومن هنا نحتاج إلى فهم بعض المفاتيح الدلالية في الخطاب أعلاه وأقصد الفهم الثقافي للنص وأن السفسطة هي طريقة تعليم المناورة والخداع والعيش بطرق ملتوية وهذه الطرق أثرت على مجرى الحياة فأصبح الكذب والخداع طريقا للوصول إلى الأهداف وربما تكون العملية معكوسة في أوربا يعتبرون الصدق شرفا وأما العرب فيربطون الشرف بالعادات والتقاليد ومن هنا انقلبت المفاهيم وتداخلت وعن العودة إلى تحليل النص نجد أن بؤرة الخطاب تكمن في فكرة عشق الموت وذلك عندما يكون الموتُ ولادة وبعثا جديدا للإنسان وهنا حدث تحطيم للمنطق الطبيعي بأنّ الموت هو عدم ونهاية وذوبان وتلاشي تحول عبر الخطاب إلى دلالة جديد هي الولادة والحياة والخلود والاستمرارية، وخلق دلالة ومعنى للموت طارئ ومدهش بالوقت نفسه.

٥. ٣. النص الثالث: (كونوا أرقاما وليس أصفارا)

(النص مقتبس من فكرة أهمية الرقم إلى جانب الأصفار موقع حكم، علي إبراهيم الموسوي)

ما أجمل أن يكون الإنسان قيمة عليا وما أجمل أن يفهم كيف يكون قيمة عليا في الحياة وهنا جاء النص الخطابي مكثف الدلالة عميق الإشارة فهو يقدم نموذجا رياضيا يشكل حجة وشمسا ساطعة لإثبات الفكرة وهي أنك كلما كتبت صفرا تحركت في الفراغ وذهب عملك هباء ولكنك عندما تدعم هذه الأصفار المتكررة برقم فإنك تصنع قيمتك وتمنح الأصفار نبضا وحياة

ومعنى ودلالة وعلى سبيل المثال: (٠٠٠٠٠٠) هذه ستة أصفار عندما تنظر إليها للوهلة الأولى سوف يخطر على ذهنك أنها فراغ لا قيمة له أصلا ويكون خاليا من المعنى في الذهن.

ولو قمت بوضع رقم بعد تلك الأصفار (١٠٠٠٠٠٠) لتغير الحال لديك وأصبح الرقم مع الأصفار يشير إلى العدد مليون على سبيل المثال وهنا قمت بخلق قيمة ومكانة لتلك الأصفار المتراصفة مع بعضها البعض وهذا يعطي دلالة بأنّ الإنسان يجب أن يكون رقما صعبا في الحياة ليترك أثرا معادلا لقيمته في حياته.

٥. ٤. النص الرابع

هنا سوف نقدم أكثر من نص ونبحث عن المقارنة بينها من خلال تحليل الخطاب:

* (كلما زادت المعرفة زادت الحسرة) (مقتبس من حوار بين راغنار لوثيروك والملك ايكبرت)

*(خطيئة الأنقياء هي ظنهم أنّ الجميع مثلهم) (مقتبس من الدكتور علي الوردي، موقع حكم)

* (المشكلة التي لا تقتلني تجعلني أكثر قوة) (مقتبس من قول أحد الفلاسفة موقع الجزيرة نت)

في البدء عندما نواجه نصا هل نحتاج إلى المواجهة الحسية أم المعنوية؟ بالطبع أنّ القوى الحسية هي المدخل للقوى الإدراكية، وهنا عندما نكون في مواجهة أكثر من نص نحتاج إلى إثارة مجموعة تساؤلات ويكون الجواب عنها مدخلا مقبولا لتحليل هذه النصوص والوصول إلى مقاصدها، عندما نتأمل النصوص هل يكون الذهن خاليا تماما منها؟ وهل نحن في منطقة قبول أو رفض لها؟ وهنا يتوزع التفكير على أكثر من منطقة، ويجب أن نتحرر من الميول والرغبات في تحليل النص لكي نحقق المتعة والجمالية في الوصول إلى المقاصد الخفية.

نحتاج إلى تحديد النقاط المتشابه بين النصوص الثلاثة وهي: (الحسرة، القتل، الخطيئة،)

نحتاج إلى تحديد النقاط المختلفة بين النصوص الثلاثة وهي:(المعرفة، النقاء، المشكلة)

المشكلة= القتل الخطيئة= النقاء الحسرة= المعرفة

لنقرأ كما يأتي: الخطيئة تنتج الحسرة وتنتج المشكلة وتؤدي إلى القتل في بعض الأحيان

الخطيئة هي دلالة معنوية، الحسرة دلالة معنوية وهذه المقدمات المعنوية تؤدي في بعض الأحيان إلى القتل وهو دلالة حسية، وهذه الاختيارات جميعها تدل على البؤرة المركزية للخطابات الثلاثة وهي (الخطيئة، الصراع، النقاء) وكأنها تفصح عن إشكالية الوجود البشري في الحياة والصراع بين الخطيئة التي تمثل محور الشر وبين النقاء الذي يمثل الفضيلة المتجسدة في محور الخير.

والهدف الرئيس من الخطابات هو أنّ اختيار الإنسان انعكاس لروحه والترسبات الذهنية التي تهيمن عليه من دون أن يعلم بها أو يتقصدها، وغالبا ما تكون أشكال الصراع بين الخير والشر مختلفة ومتنوعة وظاهرة ومخفية وهي التي تجعل من الإنسان يعيش أزمة وجوده في الحياة.

٥ .٥. النص الخامس: (أنا أحلل، أقرأ، إذاً أنا موجود)

(مقتبس من ديكارت أبي الفلسفة الحديثة)

هل نستطيع من خلال هذه المقدمات أنّ نستدل على نتائج معرفية صحيحة لاسيما أننا ذكرنا أن كل استنباط يرتكز استنتاج النتيجة من مقدماتها دائما على مبدأ عدم التناقض ويستمدّ مبرره المنطقي من هذا المبدأ لأنّ النتيجة في حالات الاستنباط مساوية لمقدماتها أو أصغر منها (الصدر، ٢٠١٢ :١٩).

المقدمة تشير إلى وجود فعل حركي قام بحدث التحليل وهذه المقدمة تعطي نتيجة مساوية لها وهي دلالة وجودية لصاحب فعل التحليل وكذلك فعل القراءة لنصل إلى نتيجة مفادها تحقيق الوجود الفعلي المنطقي المتسق مع وجود التحليل والقراءة فعند انعدام فعل التحليل والقراءة سوف ينعدم فعل الوجود وتنتهي النتيجة وتتلاشى بانتهاء المقدمة وتلاشيها.

خطابات المغالطة والمعارضة ولو تناولنا حركة النص من المغالطة إلى المثال من خلال الاستدلال وعلى وفق حركة التاريخ العربي الإسلامي لخرجنا بالنتائج الآتية:

العلويون: كانوا يمثلون الحركات التي تتجه وتبحث عن المثال الذي تجسد في حكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لكنهم فشلوا في تحقيق ذلك وتعرضوا إلى التصفية والتهميش والإقصاء طيلة الحكومات الإسلامية المتعاقبة.

العباسيون: كانوا يمثلون الحركات التي تعمل بالمغالطة وتسعى لتقديمها بصورة المثال من خلال خطاباتها السياسية والدينية التي عملت بها طيلة مدة سلطتها وكانت تستعمل كل السبل المتاحة لتقديم المغالطة بصورة المثال للناس.

الأحزاب الدينية في الدولة الأموية: كل حزب كان يمثل خطابا من المغالطة والخداع وتزييف الحقائق ويقدم نفسه بصورة المثال وسلطة الحق وكانت نتيجة هذه المقدمات الصراعات والحروب التي اشتعلت وأدّت إلى نهاية هذه الأحزاب وبيان بطلان نظرياتها وخطاباتها الماكرة.

الغزل العذري: كان يمثل الخطاب المثالي على مستوى الفكر والتنظير وعلى مستوى التطبيق وتأسيسا على هذه المقدمات الصحيحة أنتج الغزل العذري تأثيرا أدبيا كبيرا ومهما وخلق متعة وجمالا مساوية لما جاء في مقدماته على وفق نظرية الاستدلال.

الغزل الصريح: كان يمثل خطاب المغالطة وذلك لأنّ المقدمات جاءت مثالية ولكن السلوك والتطبيق جاءت على وفق المغالطة وهذا ما جعل الاختلاف يقع بين المقدمات والنتائج ويفضي إلى فشل هذا النوع من الخطاب في خلق التأثير في الناس بالمستوى المطلوب.

حركة الصعاليك: كانوا يهدون إلى الحصول على الطعام والمال وتوزيعه على الفقراء وهنا تمثل هذه المقدمة خطابا مثاليا لكن السلوك والتطبيق جاء من خلال خطاب المغالطة وحدث اختلاف بين منطق المقدمة المقبول وبين منطق النتيجة المرفوض.

حركة الأنبياء: تحرك جميع الأنبياء في التاريخ حركة مثالية من خلال خطابات المثال التي كانوا مقدمات الخير فيها جميعهم لكن جميع المجتمعات التي أرسلوا إليها تحركوا حركة معاكسة من خلال خطاب المغالطة وهذا أدّى إلى حدوث اختلاف بين المقدمات المثالية المنطقية للأنبياء والرسل وبين النتائج المجتمعية غير المنطقية التي اعتمدت معهم.

٥ .٦. النص السادس: سُميّ الغضبُ جنونا مؤقتا، وأكثر الناس عرضة له أقلهم فهما وإدراكا) (ريتشارد، فلسفه البلاغة)

عندما نقوم بعملية التحليل الأدبي لهذا الخطاب فيجب تفكيك الفكرة المركزية وهي الغضب إلى عناصرها الأساسية لنجد أنّ الغضب فعل إنساني يُربك قدرة الإنسان على التمييز الصحيح والصائب فنراه في لحظة يصيبُ أعز أصدقائه بضرر، وفي لحظة أخرى يأخذه بالأحضان.

فضلا عن كون الغضب يأخذ الإنسان إلى الأخطار، ولو كان ذهنه صافيا لكان أول من هذه الأخطار ويتجنبها. ولو تأملنا الدلالة اللغوية للغضب لوجدنا أنها تذهب إلى معنى (اشتداد السخط) وهو ضد الرضا (ابن فارس، أ.ت: ج٤/ ٤٢٨؛ الزبيدي،٢٠١١: ج ٣/ ٤٨٥؛ ابن منظور، د.ت: ج٦٤٨/١) ويقول صاحب معجم المصباح: غضب عليه غضبا فهو غضبان

وامرأة غضبى، وقوم غضبى وغضابي، وغضاب أيضا، ويتعدى بالهمز، وغضب من لا شيء أي من غير شيء يوجبه وغضبتُ لفلان إذا كان حيا، وغضبت إذا كان ميتا (المقري الفيومي الرافعي، د.ت:١٠١).

وأما الدلالة الاصطلاحية للغضب، فقال الجرجاني (الغضب تغيير يحصل عند غليان دم القلب، ليحصل عنه التشفي للصدر) (الجرجاني، ٢٠٠٢: ٢٠٩). وكذلك جاء بمعنى (ثوران دم القلب لقصد الانتقام) (الزبيدي، ٢٠١١:ج٤٨٥/٣).

ومن خلال هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية نصل إلى نتيجة مفادها أن حصول الغضب لدى الإنسان يؤدي إلى تشويش الذهن ويقوم بعملية إرباكه ويجعله يشعر بالسادية والعنف غير المبرر الذي يبديه تجاه الآخرين وهنا فعلا يصل الإنسان لدرجة الجنون المؤقت، وهذا يتسق مع مقولة ابن العربي (كل كلمة لها نظام خاص من التعيين والتدليل تبعا لروح النص والصورة التي يريد إظهارها عن ذاته) (الزين، ٢٠١٩: ٢٨).

٥ .٧. النص السابع: (كلما ارتفعت النفس البشرية صفت وتطهرت النيات)

(النص مقتبس من مفهوم قوله تعالى: ﴿قَد أفلَحَ مَن زَكّاهَا وَقَد خَابَ مَن دَسّاهَا﴾ (الشمس، الآية/١٠-٩). في البدء وعند تأمل الخطاب نجد أنّه يتضمن شروطا وعلاقات لزومية جاءت في مقدمة الخطاب وهي الحديث عن السمو والارتفاع في النفس وهذا يشير بوضوح إلى أنّ للنفس مستويات أخرى مضادة وعاكسة للارتفاع وإذا ما ربطنا فعل الارتفاع النفسي بالبعد العقلي من جانب فترتبط بالبعد الديني من الجانب الآخر وعلى الرغم من أن الجانبين يتجهان نحو نتيجة واحدة هي الوصول بالنفس إلى السمو والارتفاع وهنا يأتي القرآن الكريم ليتحدث في أكثر من موضع عن النفس البشرية ويكفي أن نأخذ نموذجا قرآنيا لتقديم الدليل والحجة لذلك قوله تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَواها* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْواها* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (سورة الشمس، الآيات / ٧- ١٠)، وهنا لقدسية النفس أقسم بها وبمن خلقها وبالقدرة والعلم والحكمة الذي سواها ورتب خلقتها ونظم أعضاءها وعدّل بين قواها، وأنّ تنكير (نفس) قيل للتفخيم ولا يبعد أن يكون التنكير للإشارة إلى أن يكون لها وصفا وأن لها نبأ (الطباطبائي، ٢٠٠٤، ج٢٠/ ٣٣٨).

(وتعليق الإلهام على عنواني فجور النفس وتقواها للدلالة على تعريفه للإنسان صفة فعله من تقوى أو فجور وراء تعريفه متن الفعل المشترك بين التقوى والفجور كأكل المال مثلا المشترك بين أكل مال اليتيم الذي هو فجور وبين أكل مال نفسه الذي هو تقوى) (المصدر نفسه).

ونجد هنا مسألة التقوى وعلاقتها بالسمو والارتفاع النفسي إلى مستوى الفضيلة وهنا يتحقق الصفاء والطهر الذي يرتبط بالنيات البشرية وكأننا في نسق متشابه ومقدمات متسقة مع بعضها البعض فعند توفر السمو والارتفاع للنفس يجب أن يستلزم ذلك التقوى والطهارة واستلزام وجود التقوى هو بالضرورة استلزام وجود نية صافية للإنسان فالمقدمات الكبيرة تمنح نتائج كبيرة والعكس صحيح عندما تقترب النفس من الفجور فإنّ ذلك يستلزم بالضرورة الهبوط والدنو، وهذا بدوره سوف يستلزم نية ملوثة ومشوشة تنتمي إلى مستوى النفس وفجورها. وعندما تتحدث الآية عن الفلاح تربط ذلك بمقدمة السمو والارتفاع وترى أنّ الفلاح هو الظفر بالمطلوب وإدراك البغية وهي التقوى والنية الصافية التي هي بغية النفس السامية النبيلة والمرتفعة في سماء الفضيلة، والخيبة خلافه، والزكاة نمو النبات نموا صالح إذا بركة، والتدسي وهو من الدس بقلب أحد السينين ياء إدخال الشيء بالشيء بضرب من الإخفاء، والتعبير بالتزكية والتدسي عن إصلاح النفس وإفسادها مبتني على ما يدل عليه قوله (فألهمها فجورها وتقواها) فتحلية النفس بالتقوى). (المصدر نفسه: ٣٣٩) ونخلص إلى أنّ قيمة النفس السامية ليس تكمن

في علوها حسب بل بما تنتج من عمل صالح يكون تجسيدا لتلك النية النبيلة والصادقة التي تكون دافعا ومحركا لها قبل أن تترجم ذلك على أساس الواقع العملي، فضلا ما ينتج عنه هذا الخطاب من ضرورة إصلاح الانسان من الباطن والظاهر ومن خلال تطابق النية مع السلوك فطالما تكون المقدمات صحيحة تكون النتائج كلها خيرا وفضيلة وهي قاعدة إنسانية غاية في الأهمية.

٥ .٨. النص الثامن: (لماذا يفشل المثال نموذجا في الحياة)

(مقتبس من مقال عن الشخصية المثالية)

عندما نبحث عن مرتكز الخطاب أعلاه نجد هو كلمة (المثال) ولو تأملنا فكرة المثال لوجدناها ترتبط بالمنظومة الفلسفية العالمية التي تطلب من الإنسان أن يرتفع بذاته إلى عالم القيم والأخلاق بينما تنتمي الحياة العادية الطبيعية إلى منظومة دنيوية متعارضة مع المعايير الإجرائية التي تحكم فكرة المثال وتتعارض معها، ومن هنا سوف تكون فكرة المثال هي أصلا فكرة غير واقعية وغير قابلة للتطبيق، والدليل حتى عند المثاليين أنفسهم فشلت الفكرة ولم تنجح على مستوى التطبيق الواقعي ويمكن لنا أن نأخذ مثالا من تأريخنا وهي حكومة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكيف كانت حكومة مثالية تطبق كل معايير الحق والعدالة والسلام وكل معايير الخير والأمان لكنها لم تستمر ولم تنجح على أرض الواقع فثار كل المفسدين في الأرض لإسقاطها وتوالت الحروب والفتن والمشاكل حتى انتهت باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وكان مثالا حيا لحكومة المثال في الأرض.

٥ .٩. النص التاسع: (هل المقيدات تشكل المطلق)

(مقتبس من مصادر مدرسة الفقه الإسلامية)

الفهم الأولي للخطاب يفضي بنا إلى نوع من التصور وهو أن وضع القيود على أي مطلق سيكون بمثابة إنقاص منه، ولكن لو غيرنا زاوية نظرنا إلى الفكرة لوجدنا تخريجا آخر هو أن التقييد في بعض الأحيان للمطلق يكون نافعا له كيف ولماذا؟ لأنّ القيد في هذه الحالة سيكون بيانا وتوضيحا للمطلق؛ فعلى سبيل المثال لو قلنا (كتاب) لذهب الذهن إلى أي كتاب بينما قيدناه بـ (ال) و(لام) توجهت الدلالة العقلية مباشرة إلى القرآن الكريم وفعلا وصفه الله سبحانه وتعالى في قوله:

﴿ذلك الكتابُ لا ريب فيه هدى للمتقيين﴾.(سورة البقرة،الآية/ ٢) وإذا قيدنا الكلمة أكثر وذلك بإضافة كلمة (الكتاب النحوي) ذهب الذهن مباشرة إلى كتاب سيبويه وهنا جاء فعل القيد مهما وضروريا لتشكيل صورة المطلق الواضحة.

٥ .١٠. النص العاشر: (امرأة تجلس مع رجل في السيارة)

(مقتبس من خطاب الواقع الاجتماعي)

في كل خطاب توجد هناك غاية ووسيلة وهنا يجب أن نعرف كيفية التعامل مع النص فالسفسطائيون ينطلقون من فكرة الغاية التي تبرر لهم القول؛ ومعنى هذا الكلام أن المقدمات التي تحدد أصلا غاياتهم هي التي سوف تتأسس عليها نتائجهم بغض النظر عن الحقيقة في هذا الخطاب؛ وذلك لأنهم يعتمدون المعرفة الحسية أصلا لمعرفتهم فما يشاهدونه بالحواس يتعاملون معه على أساس أنّه الحقيقة تماما، ولذلك فإنّ المنفعة التي يبنى عليها الخطاب، ومن يكون الرجل الذي في السيارة هو زوج المرأة أو لا انطلاقا من تلك المقدمات الظنية بغض النظر عن المعرفة العقلية التي تجعل المظاهر الحسية أثرا لحقيقة معقولة لا تدرك إلا بالعقل.

بينما ينطلق جماعة الفلسفة المثالية التي تعتمد الاستنباط المستند إلى الاستدلال على صدق النتيجة والاحتمالات القابلة للتوقع والاحتساب وهذا يأتي من المنهج العقلي لهم الذي ينتقل من المحسوس إلى المعقول، وهذا يعني الانتقال من معان إلى معان، فإن هذا الخطاب يجب أن يحلل وعلى وفق نظريتهم بواسطة المستوى العقلي الذي يعتمد المسلمات العقلية في قراءة الخطاب وتفكيكه فالمقدمات عندما تكون عقلية سوف تكون النتائج عقلية.

٥ .١١ .النص الحادي عشر: (المرأة حيوان لا عقل له ينبشُ الجمر من الأعلى) (ريتشاردز،٢٠٠٢: ١٥)

للوهلة الأولى يبدو النص مرفوضا جملة وتفصيلا وذلك بسبب العمومية التي هيمنت على الخطاب على مستوى النسق الظاهري للدلالة والمعنى الذي يحمل هجوما غير مبرر وتعميما يشمل النساء كل النساء وهذا أمر غير مقبول البتة، ولكن هل يمكن أن يكون هناك بُعد آخر لهذا الخطاب يكمن في أنساقه المخفية ومقاصده غير المعلنة، والإجابة عن هذا التساؤل نقول نعم يمكن أن يكون هناك بعد آخر لمثل هذا النوع من الخطابات وهو البعد الساخر الذي يمكن توظيفه للنصيحة أو الحكمة أو النقد لظاهرة معينة بذاتها موظفا أسلوب التعميم لأجل جعل الأهمية بهذا الخطاب تتساوى أو تفوق منطقة الشمولية والتعميم فيه، وهذا ليس مبررا للخطاب أصلا بل هو إضاءة لزاوية أخرى مخفية من زوايا التحليل والاستنتاج من الأنساق المخفية للخطاب ونقول إنّ أي رجل إذا ما استفز لن يتورع عن المغامرة في خطاباته بتوظيف التعميم والشمولية والعشوائية في خطاباته.

وعندما توصلنا إلى فهم هدف هذا الخطاب وهو السخرية والإثارة والبعد العشوائي الذي يستفز جميع المتلقين ويثير حفيظتهم، ندخل بعد ذلك على تفكيك الخطاب على المستوى السطحي ومن ثم المستوى العميق فعلى المستوى السطحي، الخطاب يتحدث عن اشتراك الإنسان بنحو عام مع الحيوان في مسألة الخلق والوظائف المشتركة بينهما في العيش من ناحية الأكل والشرب والزواج والصراع والموت والحياة، ونقطة الاختلاف التي جعلها الخالق جلّ وتعالى الفاصل والفارق بينهما هي (العقل) الذي يصفه الله تعالى بأنّه أفضل شيء خلقه للإنسان عندما قال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر، وهنا رسالة لجميع المخلوقات عن طاعة والتزام هذا العقل بكل أوامر الله من جانب وجعله في الإنسان هي ميزة أخرى له عن جميع مخلوقات الله تعالى.

فيأتي منتج النص والخطاب ويحطم هذه الفضيلة ويهشمها تهشيما غير منطقي ومقبول بنفيها عن الجزء الثاني من الإنسان والمكمل له في الحياة المرأة القيمة العليا والمثال السامي للجمال التي خلقها الله من أعماق الرجل في إشارة للتمازج والتماهي والتواصل والمحبة الأزلية بينهما. وبعد هذه القراءة نرجح البعد الساخر والنقدي لهذا الخطاب ونؤكد أن المقصود ليس المرأة فحسب بل عموم الإنسان، وإذا ما جئنا للجزء الثاني من الخطاب (ينبش الجمر من الأعلى)، وهنا تأكيد على عبثية الإجراء والفعل السلوكي دون تحقق أية فائدة من هذا الفعل فالمنطق والعقل لو كانا متوافرين لكان النبشُ من الأسفل وليس من الأعلى لأن الأعلى هي منطقة الدخان والضياء وليس منطقة الجمر منتج الضياء والدخان الذي من المفترض أن يستقر في أسفل النار، وعند تحريكه سوف يكون الفعل فعلا منطقيا متسقا عقلا مع هدف التحريك، وهنا تكتمل صورة الهدف والغاية من هذا الخطاب أن بعض الناس من الرجال والنساء يقومون بمعالجة الأمور في حياتهم بالمستوى السطحي الظاهري وهم على عجلة من أمرهم فيقعون في الأخطاء وردود الأفعال السيئة والأحكام الخاطئة مثلهم مثل من ينبش النار والجمر من الأعلى فكأنّه يحرك الدخان وأصلا هو في منطقة حركة وحالة تصاعد وهيجان فلا يحصل من عمله هذا على أية نتيجة تذكر.

٥. ١٢. النص الثاني عشر: رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية عليه السلام:(رسائل الإمام الحسين عليه السلام)

(أما بعد فكأنّ الدّنيا لم تكن؛ وكأنّ الآخرةَ لم تزَل والسلام)

النص مكثف الدلالة مكتنز الأبعاد فيه أبعاد اجتماعية وأخرى تواصلية فضلا عن الأبعاد اللغوية التي حملت عبر مناطقها المجازية كل هذه المعاني والمقاصد فلو جئنا لتحديد البعد الاجتماعي من خلال تفكيك الخطاب إلى عتبات نصّية نجد أن السمة الأساسية فيه هي دفع المتلقي إلى منطقة التفكير والتأمل في المعنى النسقي المخفي بعد فهم النسق الظاهر والذي يقول: (فكأنّ الدنيا لم تكن) فكيف يصدر هكذا معنى من منتج الخطاب وهو الإمام الحسين عليه السلام صاحب البلاغة والفصاحة المعهودة والجملة على مستوى النسق السطحي جملة تشبيهية تنفي كون الدنيا كائنة أي موجودة وهذا مخالف للمنطق والواقع على مستوى الحقيقة، لكن لو دخلنا إلى منطق العمق لوجدنا أنّ منتج الخطاب تعامل مع الدنيا بوصفها نقطة من نقاط خلق وحركة الإنسان من السكون عبر الحياة إلى السكون ولم يتعامل مع الدنيا بوصفها معادلا موضوعيا يقابل الآخرة، وهنا تشتغل جملة التشبيه بواسطة علامات سيمائية ترسل إشارات إلى المتلقي مفادها أنّ الدنيا في سرعة نفادها تشبه الحلم الذي يمرُ به الإنسان، وإذا ما قاربنا هذه الفكرة على مستوى ما نعيش من الحياة نجد تطابقها فعلا مع الضبط الدلالي لها وغاياتها فعندما نفكر في ما انقضى من العمر نجد أن السنين الطوال كأنّها لحظات في زمن الحياة بكل تفاصيلها وأحداثها وأيامها القاسية الطويلة حتى يصبح الإنسان يوما ما مجرد رقم يتلاشى خلفه كل شيء خلا العمل الصالح الخيط الذي يربطه ويوصله بالجزء الآخر من الخطاب وهو(وكأنّ الآخرة لم تزل) وهنا يتبدى المعيار التواصلي في الخطاب بأبهى أشكاله عندما يهيمن هيمنة كاملة على مقدمة النص ويجعل منها نقطة سرعان ما تتلاشى مقابل بقاء الآخرة وديمومتها، وهذه الفكرة بالضبط هي نقطة التوهج والإشعاع في خطاب الإمام الحسين عليه السلام وهي أن الدنيا بكل تفاصيلها وأحداثها وأيامها زائلة وفانية ولا تستحق التمسك بها وأنّ الآخرة بكل تفاصيلها هي الحياة الأبدية لأنّها منطقة الجزاء ورد العطاء الذي نقدمه لله سبحانه وتعالى في عملنا في هذه الدنيا وهذه الغاية والمقصد التواصلي جاء منسجما مع الأحداث والظروف الاجتماعية التي كانت تحيط بالإمام الحسين عليه السلام في وقت إنتاج النص، هذا من جانب ومن جانب آخر هناك بعد نفسي وروحي حمله هذا الخطاب لأصحابه ومن كان معه من أهل بيته وكذلك لأخيه الإمام محمد بن الحنفية الذي حاول منع الإمام الحسين عليه السلام على مستوى الواقع من القدوم إلى كربلاء ومرافقة أهل بيته عليهم السلام معه.

ونعتقد بأنّ الخطاب بما حمله من اكتناز دلالي كبير ورسائل تواصلية للمجتمع نجح منتج الخطاب في تحقيق التعبير عن أهداف كبيرة في رسالته ومنهجه في هذا القيام ومن خلال الصدق الذي تمتع به خطابه عليه السلام كان مقدار الأثر في نفسية المتلقين حيث مازال الخطاب الحسيني من أقوى الخطابات تأثيرا وتفاعلا في المجتمع بوصفه خطابا حيّا نابضا بكل معاني الحياة وتوظيف الفهم والوعي والإدراك وتحريك نفوس المجتمع بوصفه منطقة استقبال لتلك الخطابات القدسية الإلهية.

النتيجة

١. قدمت الدراسة فكرة جديدة في طرق وفنون تحليل الخطاب المعرفي والثقافي للنصوص الأدبية بنحو خاص والنصوص العلمية بنحو عام.

٢.قدمت الدراسة من خلال توضيح فكرة البحث الرئيسة (المتاهة) المناهج والرؤى المتنوعة والمختلفة التي يمكن للطالب أو الباحث الإفادة منها.

٣.قدمت الدراسة الطريقة التي يتم من خلالها فهم النص وكيفية التعامل معه سواء أكان نصّا أدبيا أم علميا.

٤.عالجت الدراسة توضيح طريقة الإفادة من المقدمات في النصوص وكيفية استخراج النتائج منها وربطها بالفكرة الأساس التي يعالجها البحث.

٥.عندما يدخل الباحث وطالب الدراسات العليا المتاهة المعرفية داخل النصوص ولا يعلم كيف يخرج أو يتصرف فيها قدمت الدراسة الحلول الفكرية لتلك المشكلة المعرفية.

٦.تعليم الباحث أو طالب الدراسات العليا عند تحليل الخطاب في داخل النصوص كيف يتواصل بشكل صحيح مع النص، وكيف يمكن أن يكتشف الأنساق المخفية والمقاصد المضمرة في النصوص.

المصادر والمراجع

١.القرآن الكريم

٢.أ ريتشاردز. (٢٠٠٢م). **فلسفة البلاغة**، ترجمة سعيد الغانمي وناصر حلاوي، المغرب: دار أفريقيا الشرق- الدار البيضاء.

٣.إبن منظور الإفريقي. (د.ت). **لسان العرب**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم جليل إبراهيم، بيروت، لبنان: مطبعة دار الكتب العلمية.

٤.ابن فارس. (د.ت). **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الجيل.

٥.الأصفهاني، الراغب. (د.ت). **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق: دار القلم.

٦.زيدان، باسل. (٢٠٠٢). **مجمع المعاني الجامع-(مادة تيه)**. تحقيق: يحيى جبر وائل وحمدي الجبالي، الطبعة الأولى، فلسطين.

٧.الجرجاني، أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني. (٢٠٠٢). **التعريفات**، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية.

٨.الجواهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد. (١٩٨٧). **الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية**، القاهرة: دار الحديث.

٩.الخزرجي، عبد الباقي.(٢٠١٦). **توهج النص - دراسات نقدية**، الطبعة الأولى، بغداد: دار عدنان للطباعة والنشر.

١٠.الزبيدي، مرتضى.(٢٠١١). **تاج العروس**. اعتنى به : عبد المنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد محمود. بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية.

١١.الرويلي، ميجان وسعد البازعي. (٢٠٠٤). **دليل الناقد الأدبي - إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا معاصرا**، الطبعة الثانية، بيروت: المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء.

١٢.الزين، محمد شوقي. (٢٠١٦). **الصورة واللغز التأويل الصوفي للقرآن عند محي الدين بن عربي**، دار مؤمنون بلا حدود.

١٣.شتيفان، هابشايد. (٢٠١٣). **النص والخطاب**، ترجمة: موفق محمد جواد مصلح، الطبعة الأولى، بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر.

١٤.الشريف الرضي. (٢٠١٩) **ديوان**، القاهرة: وزارة الإرشاد الإسلامي.

١٥.الصدر، السيد الشهيد محمد باقر. (٢٠١٢). **الأسس المنطقية للاستقراء**، الطبعة الأولى، بيروت: دار العارف للمطبوعات.

١٦.الطباطبائي، السيد محمد حسين. (٢٠٠٤). **الميزان في تفسير القرآن**، الطبعة الأولى/٦، قم: منشورات المجتبى للمطبوعات.

١٧. زين الدين، عبد الرسول. (د.ت). **رسائل الإمام الحسين عليه السلام**، منشورات قصبة الياقوت، سلسلة إصدارات عاشوراء (٥٩)

١٨.المقري الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. (د.ت). **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، مصر: مطبعة مصطفى البابي وأولاده.

١٩.للاهوتي، يوحنا. (د.ت). **الإصحاح الثالث عشر الكتاب المقدس والإصحاح الرابع عشر**؛ من إنجيل يوحنا.

References

The Holy Quran

Al-Isfahani, R.(n.d). *Vocabulary of the words of the Holy Quran*. Investigation: Safwan Adnan Dawoodi. Damascus, Syria: Dar Al-Qalam .[In Arabic]

Al-Jawahiry, A. N.I. (1987). *Al-Sahah - Crown of Language and Arabic Sahah*, Cairo. Egypt: Dar Al-Hadith.[In Arabic]

Al-Jurjani, A.H. A.M.(2002). *Definitions. His footnotes were written by Muhammad Basil Uyoun al-Soud*. Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.[In Arabic]

Al-Khazraji, A.B. (2016). *Text glow - critical studies*, First edition ,Baghdad, Iraq: Dar Adnan for printing and publishing. [In Arabic]

Al-Muqri Al-Fayoumi, A.M.A. (n.d). *The illuminating lamp in the strange great explanation of Al-Rafi'i*. Egypt: Mustafa Al-Babi and Sons Press.[In Arabic]

Al-Ruwaili, M. & Saad .B. (2004). *Literary Critic's Guide - Highlighting More than Fifty Current and Contemporary Terminology*. The Arab Cultural Center. Beirut. Second Edition: Casablanca. [In Arabic]

Al-Sadr, M. B. (2012). *The logical foundations of induction*. 1st edition. Beirut, Lebanon: Dar Al-Aref for Publications.[In Arabic]

Al-Sharif Al-Radi.(2019) *Diwan.* Cairo, Egypt: Publisher, Ministry of Islamic Guidance.[In Arabic]

Al-Tabatabai, S. M. H. (2004*). Al-Mizan in the Interpretation of the Qur'an*, First Edition / 6, Qom: Al-Mujtaba Publications. For publications. Iran.[In Arabic]

Al-Zain, M.S. (2016). *The Image and the Mystical Interpretation of the Qur'an according to Muhyi al-Din ibn Arabi*. House of Believers Without Borders.[In Arabic]

Al-Zubaidi, M.(2011) *Crown of the bride: Abdel Moneim Khalil Ibrahim and Karim Sayed Mohamed Mahmoud took care of him*. Beirut. Lebanon: Scientific Books House. [In Arabic]

Ibn Faris. (n.d). *Language Standards*. Investigation: Abd al-Salam Muhammad Haroun. Dar al-Jil.[In Arabic]

Ibn Manzoor (n.d). *Arabes Tong*. Investigated by Amer Ahmed Haider. Reviewed by Abdel Moneim Jalil Ibrahim, Beirut, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya Press.[In Arabic]

Richards. A. (2002). *Philosophy of Rhetoric*. Translated by Saeed Al-Ghanimi and Nasser Halawi. East Africa House. Casablanca. Morocco.[In Arabic]

Stefan, H. (2013). *Text and Discourse*. Translated by Muwaffaq Muhammad Jawad Musleh. Baghdad, Iraq: Dar Al-Ma'moon for Translation and Publishing. 1st edition. [In Arabic]

Theologian, J. (n.d) *The thirteenth chapter of the Bible and the fourteenth chapter*; From the Gospel of John.[In Arabic]

Zaidan, B. (2002). *Al-Ma'ani Al-Jami Complex - (Teh article*). Investigation: Yahya Jabr Wael and Hamdi Al-Jabali. 1st floor, Palestine.[In Arabic]

Zain al-Din, Abd al-Rasul. (n.d). *The messages of Imam Hussein, peace be upon him*, Qasaba al-Yaqout Publications, Ashura Publications Series (59). [In Arabic]

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی